

معارض الفنون التشكيلية

~~~~~ في نهاية عام ١٩٦٣

واضرابه ، يقتضى امتلاك القدرة على الهيمنة على مملكة مطلقاً الاسوار، واستحضار تلك الروح الهائمة التي اسر لها الفنان البغدادي اسراره ، ثم وضعها في مختبر الوجود الحديث ، لا لتقليد ظهورها الخارجي ، وانما لاستلها من اسرارها الروحية .

وهنا تقف جهود الفنانين اليوم ، وهي تشعر بالعجز من الدخول في مثل هذا الاختيار المعقد ، لتتفحص من القيمة بأيسر ما يقع في يدها من صيد !

ولكن روح المحاولة الجريئة لاقتنا تطرق ابوابنا كلما حوتنا الهروب الى عالم آخر ، تكون مشخصات عقلانية اكثر منها روحانية . ولكي نصل الى تلك النقطة الفاتكة الضوء ، نحتاج الى تجارب اخرى تضاف الى تجارب الفنان جواد سليم . . . . . والى عديد من الاختبارات . . . . . والتمثل . . . . . والفهم العميق . . . . . والبريق الابيض !

**معرض رسوم الاطفال في بريطانيا**  
رسوم الاطفال في بريطانيا . . . . . اقتطف منها هذا المعرض الذي اقيم في قاعة التحف الوطني للفن الحديث ، اجل صحبة من الزهر . . . . . ولقد كان هذا المعرض حيا انتباه ، وتساءل اكثر الناس

(( مدرسة بغداد الحديثة في الفن )) فانه قد اثار اكثر من نقطة لمناقشة هذه الدعوة بالتعليق عليها .

فنحن نعلم ، ان مدرسة بغداد المرتقبة الولادة ، لا يمكن لها ان تقوم على مجهودات فردية متناثرة ، مائة القواعد ، بل لابد لها من قاعدة فلسفية تستند عليها برسوخ والا يظل البحث عنها مجرد تسجيل احساسات لونية ، تذوب على ريشات الفنانين ، وتنتشر على بعدين من ورق ناصع البياض ! ان انتواء الفنان على اقتراض



المساحات الشكلية ، ثم توزيعها هندسيا على الورق بشكل مسبق يخرج بها في الحقيقة ، عن كونها امتدادا لتوصلات المدرسة البغدادية التي التقت ظلها تلقائيا على صفحات الكتب ، ولت اطراف مواضيع كبيرة في حيز ضيق من صفحة كتاب .

فاذا كان هناك من يظن ، بان نقطة المسير هذه تكون ابتداء من منمنمات مقامات الحرييري - مثلا - فلا بد له ان يبذل لغة عصرية لها قوة احياء تناظر تلك اللغة السحرية التي ابدعتها مدرسة الواسطي . غير ان النفاذ الى اعماق الزمن الذي عاش فيه الواسطي

بين ما انطوى من اساليب مدرسة بغداد في القرن الثالث عشر للميلاد ، وبين رويها الفنان الحديث . وهذا ما دعاه الى استعمال اللون المائي ذي القوام الكثيف ( البوستر ) . وهو المادة الادنى في السلم اللزني من تلك الالوان النباتية الزاهية التي قدر لها ان تصل الى عصرنا الراهن ، وهي تحمل خلال قوامها الشفيف ، رويها الفنان البغدادي على عهد الواسطي ، وابن فضل ، وتلامذتهما .

ولعل في هذه المحاولة ، وهي تلم من هنا وهناك ، تأثيرات منوعة لمدرسة جواد سليم ولتأثيرات مدارس شرقية اخرى ممثلة في المساحات اللونية الصافية ، والخطوط الموءكدة بحزم ، لتفتقر الى كثير من المعاناة ، والصبر الطويل ، في سبيل العثور على ارض صلبة تستقر عليها .

والى ان يحين ذلك الوقت ، سيتمكن الناقد ، ان يقول شيئا اكيدا في مدى اقتدار تلك اتوصلات على النفاذ بعمق ، في ظاهرات حياتنا الراهنة ، وتحويلها الى لغة فنية جديدة ، لها قدرة تصعيد ماهو ببغدادي . . . . . عراقي . . . . . عربي . . . . . الى ما هو عالمي . . . . . واذا كان هذا المعرض قد اتاح لنا فرصة النظر الى تجربة جديدة تخرج بنا من نطاق الدعوة المجردة ، الى ما يمكن ان يدعى عمليا :

ما هو ضروري ان نتحدث عنه في هذه الالمامة ، ان شهرا بطوله هو شهر كانون الاول ، النهاية القصوى لعام ١٩٦٣ ، قد اعطى للناس شيئا جديدا ، كان جديرا الا يبقى كأي قوة مختزنة ، مخبوء الى النهاية .

وعيون الناس في بلادنا - كما نعرف - توافة ابدا الى ان ترى هذا الشيء الجديد المثير ، الذي يسجله الفنانون افكارا واشكالا او حتى مظاهر افكار واشكال ! ولم يكن لهذا التوق الملح من جواب ، الا ان تكون معارض الفن متوالية ، والحديث عن الفن يملا اكثر من قاعة بعد ركود الم بالفن مدة غير قصيرة .

وازاء هذا الصبر والترقب ، تتحفز اكثر من جماعة فنية ، بل واكثر من فنان لان يخرج بأعماله للناس في الموسم القادم . . . . .

**معرض الفنان فرج عبو**  
كان اول هؤلاء الفنانين الذين قدموا اعمالهم في نهاية العام المنصرم ، هو : فرج عبو . ففي هذا المعرض الذي افتتح في العشرين من كانون الاول ، والذي ضم (٤٢) لوحة ، حاول الفنان ان يقصر اهتمامه على انجاز لون واحد من ألوان العمل الفني هو : اللون الزخرفي - ان صح التعبير - . وقد قصده الفنان ان تكون لوحاته واسطة لتحقيق تجربة جديدة ، تصل



شخص بالاحمر ( معرض كيوفارا )

الطبيعة العراقية ( وجود فراغات كبيرة بين العماثر ، بينما نجد العكس في رسوم الاطفال البريطانيين الذين يرسمون عالمهم هم :

عالم المدن الذي تحجب فيه البناءات المزدهمة ، العالوية اى قسمة امام النظر ، كما تغلف الاشجار المتعانقة فى الريف ، والحدائق العامة ، مجال الروية للافق .

اما الالوان ، فنجدها فى رسوم الطفل البريطانى ، ذات اعماق ، وابعاد .

وهى اميل الى ان تكون رمادية او رصاصية داكنة او مركبة ، الامر الذى يندبها من الوان الفنانين ، ويبعدها عن الوان اطفالنا الصريحة ، الزاهية المشرقة .

وهذا يعود فى رأينا الى عاملين هما : الجو والبيئة التى يعيش فيها كل منهما ، كما يعود الى نوعية الالوان التى يستعملها كل منهما ، وطريقة تناولها .

فغالبا ما تقع الالوان الدهنية والطباشيرية ، والاقلام الملونة بين يدي الطفل العراقى . ونادرا ما تقع بين يديه الوان (البوستر) و ( الكواش ) . والفرش العريضة . وبعد كل هذا التوجيه السليم فى استعمال الاساليب الحديثة فى معالجة تلك الالوان الجديدة .

هذه ملاحظات عابرة وددنا تسجيلها فى هذه العجالة ، حرصا منا على الا تمر فرصة نادرة من هذه الفرص دون استذكار او تأمل .

### معرض الفنان الاسبانى كيوفارا

حينما يدخل بغداد اول معرض للفن التجريبي ، يكون هذا الامر حدثا مشيرا .

وحينما ترتفع انظار البغداد الى صور تفضض فيها الاشكال حتى تصبح معاني داخلية ، تكون لوحات الفنانين العراقيين ازاءها اوصافا مألوفة لمشاهد اكثر مألوفية .

من هنا جاءت اهمية معرض الفنان كيوفارا ، ومن هنا ايضا

(٤٠) لوحة مرسومة بالوان ( الكواش ) والالوان المائية ، نجد ان الطفل البريطانى قد حقق روعياه بأسلوب الفنان الحديث ، فاشبع فراغات الصورة بالالوان المركبة المتجاورة والمتكاملة ، كما اعطى للشكل توازنه ، رغم العفوية الظاهرة فى التحقيق . وهذا يعود ، فى رأينا ، الى اسباب بيئية تتصل بمشاهداته الكثيرة للمعارض الفنية ، وزيارته للمتاحف ، واطلاعه على الصور المطبوعة .

كما ترجع الى رسوخ طرق تدريس الرسم ، وصدورها عن التجريب والعلم ، الامر الذى رفع من بعض تلك الرسوم الى مرتبة اللوحات الفنية الكاملة التعبير .

ومجال المقارنة بين رسوم اطفالنا ، وهذه الرسوم المنتقاة كبير واسع ، لا يمكن ان تستوعبه كلمة عابرة كهذه . الا اننا نستطيع ان نسجل هنا ، بعض الملاحظات المقارنة ، بين ما قدم - فى امسية خاصة - من رقوق فوتوغرافية ملونة لرسوم اطفالنا ، وبين رسوم هذا المعرض :

هناك عوامل مشتركة تجمع ما بين افكار وخيالات الاطفال فى العالم ، رغم ما بين بيئاتهم من اختلاف ، وما بين بلدانهم من مسافات .

غير ان اساليب تنفيذها ، كثيرا ما تقودنا الى استقرار طبيعة تلك البلاد واجوائها وما يدور فى فلك حياتها الشعبية من اساطير ، او ماهى عليه من مستوى حضارى متقدم او متخلف .

وهي لهذا السبب ، تصبح وثائق صادقة عن حالة بعينها يستوعبها الطفل بنظرة دقيقة فاحصة ، ثم يسجلها بروح خالصة النقاء .

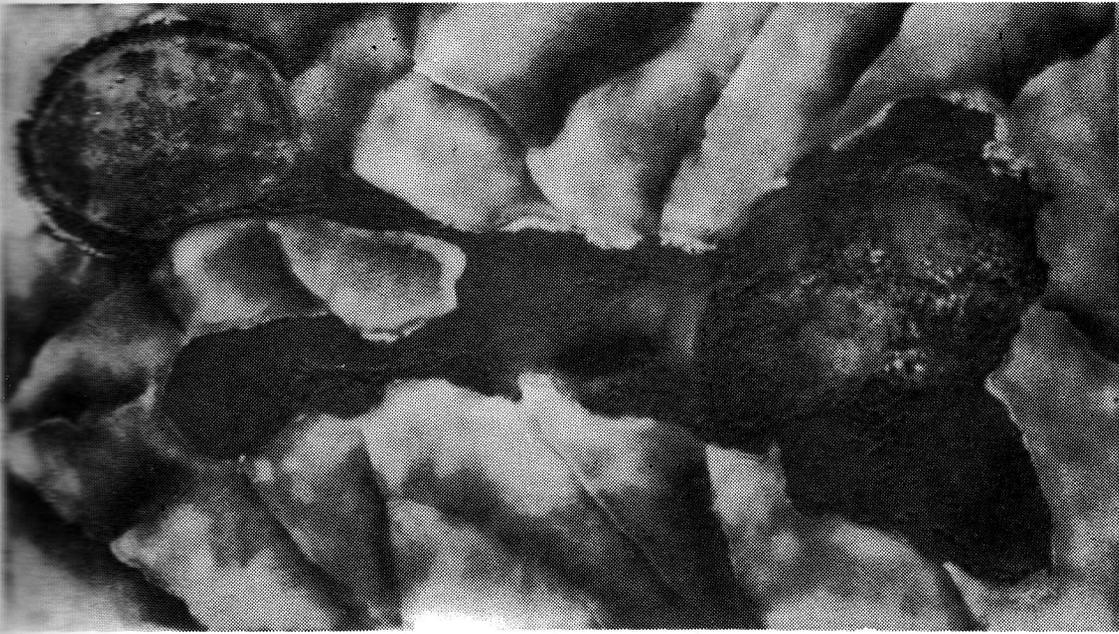
فأذا تأملنا رسوم الاطفال العراقيين ، وجدنا ان الطيف يعطى للافق مكانا وسيعا فى الصورة ، فتبدوا شخصياتهم عائمة فى الفراغات ، وهسيفا مستمد من استواء الافق فسي

ولعمر الحق ، ان خيال الطفل ، وهو يسبح فى فضاء التعبير الحر ، لهو اجمل واصدق وانقى منه وهو فى اسر التقليد .

لقد حمل هذا المعرض ، فى جملة ما حمله اليها من هدايا فنية ، تلك القيمة التعبيرية الجديدة التى اصيحت ، ازاء ما يريقه اطفالنا على اوراقهم من الوان ، وما يقيمونه من عوالم ، مجالا للمقارنة ، بل للتأمل الطويل ، والتفكير فيما يمكن ان نعدده لهم من وجوه الصل الفنى ، وما نيسره لهم مسن اساليب مستحدثة فى هذا الميدان .

ففى هذا المعرض الذى ضم

اليقاديون من اهلنا ، لا لانه وضع بين ايديهم زهريات انيقة بل لانه كان نتاج ارض مفلوحة طرية عميقة الخصب ، هى ارض الوطن التى عاش اولئك الصغار احداثها اليومية القرية ، وسقوا كورس اليها العذبة ، فاستطاعوا ان يعيروا عنها ، بعيدا عن جربة الكوار ، ولعلنا ونحن نخطو اولى خطواتنا فى حقل التربية الفنية ، لا نستطيع ان نتقل قبة مثل هذه المعارض وتأثيرها الاكيد فى تجاربنا الجديدة لتعليم الاطفال ، واستهوائهم الى ان يتحدثوا بالخطوط والالوان عما يجرون ويؤمنون ، بل عما يتخيلونه ، يرمزون له ويحملون به .



منظر ( معرض كيوفارا )

تستطع السريالية ان تجسد الاكوابيسه واعراضه المرضية المغشية وعالم الحقيقة الذى لم تقدر على استيعابه كل اوقات قوس الغمام فى رباعيات الانطباعيين !

وصور كيوفارا التى نمت فى مخيلته عبر سنين الاتباع التى اجتاز مرحلتها معظم فناني العصر ، ازهرت اليهم هذا ازهر الذى اعطى لصوره سحر الصدفة وجمالها التلقائى - ومن هنا كانت امتدادات عمله بالفريسكو ، وجوبه فى اقطار امريكا اللاتينية ، واتصاله الحميم باكتشافات المعاصرين من تجريدى اسبان ، تصل الى نهاية يكون فيها اسلوبه الخاص قد تبلور ، وتفتح كزهرة كبيرة فاعمة من اعماق المجهول .

ولعل الكلمات ، وهى لا تستطيع منح الموسيقى شكلا تفرغ فيه حروف لغتها اللطيفة . لا تستطيع ايضا ان تصف حذو الاصدى احساسها بلقاء الاوقات وهى تتنفس فى جوها الطيبى . متحد بكل ما يمكن ان يكسى فيروز الجوامع الاسلامية وزجاج الكاتدرائيات الطيفى من الية مبهم غامض وشعر مسد -

\*\*\*

عصرنا الراهن .. هذا العصر الذى لم يعد انسانه يكتفى بالزحف على القشرة الصلدة لظواهر الحياة ، بل نفذ الى ابعاد قصية منها ، ليصوّر الخميرة ، وهى تعمل لتحويل المادة الى مظهر جديد ، وتغلغل فى الحديد المنصهر ، ليسجل ما سيؤول اليه ذوب مادة يقدم عليها هيكل الحضارة ..

وذهب بعيدا فيما وراء فضاء الارض ، ليرى وهو يجوس فى العماء الكونى مدارات الافلاك والاجرام ، وهى تحترق .. وتضىء .. الذى ينطوى على روح الحاضر .. العالم المتخيّل وراء المحسوس ، ولا نهائية المكان .

(( الفن الحى )) اذن هو ما اختاره - منذ عام ١٩٥٤ - للمعبور من عالم الشكل : من تقاحات سيزان الذهبية .. الى زهرات فان كوخ لمبيد الشمس .. الى تهاويل بيكاسو الاسطورية .. الى تشابيح روى المحمية .. الى عالم اللاشكل حيث تلعب الالوان والافكار دورها الفذ فى اخفاء المعالم العضوية لمظاهر الوجود ، وتصيح بذاتها هى التعبير البديل لها ، التعبير عن العالم اكمل جمالا مما هو .. اعرق وانقى الوانا مما هو . عالم الحلم الذى لم

تنسجم مع اى لون قريب فى يدى ، وبصورة عامة : اللون الابيض والاسود ، الظلمة والنور ..

فاذا لم يكن باستطاعتى ان اصور ، لجأت الى طريقة اخرى للتعبير عن الانفعال ، مثلا: ان اطعن الجدار ، او ان اصرخ فقط ، او ان امضغ اللبان . انها المادة المتشنجة تحت ارادة العمل هى التى تهمنى ..

ادخال التعبير الاول للامارة الغضبية بدون اية بنية جديدة تشكيلية ، فى فارغ ثورى ، دون اى حد للرغبة فى العمل . (( فالطراز التجريدى الذى توصل اليه كيوفارا ، عبر تجاربه فى الخزن ، ومعاناته الفنية طوال سبع سنوات لاهس فيها حسه الاسبانى الجنوبى ، افكار واحاسيس فناني امريكا اللاتينية ، نشأت من موسيقى الارض ، وصداح اناشيدها الازلية ، ثم تشرب بشعور اعرق كلاسيكية من جفافة المظهر الطبيعى للاشياء متغلغلا الى الداخل ، الى العالم الحى السادر فى نجوة من النظر الخاطف .

كلمة قصيرة ، بلا ظل لا يمكن ان تعطى للحروف قوة خارقة الاقتدار على البث العميق ، لتمثل ما قد اصبح لغة اهل الفن فى

بدرت اولى التطلعات الى فن اوروبى اسبانى متفجر ، لا يصدع فى حالة التواجد لهواتف النفس وحدها ، بل يحيل تلك الهواتف ، الى طاقات انفعالية ، تحمل فى جوهرها ، تحرر نظرة الفنان الى العالم الاخر .

ولعل النظرة المسطحة للوحات هذا المعرض ، لا يمكن ان تصل الى حل رموزها . فالبناء فيها نام ، بشكل مرجانى على قواعد تفوق فى اعماق المحيط .. وهى لذلك ، لاتمثل تجميع الافكار من نشر الحياة اليومية ، بل تذهب بعيدا الى ما وراء الظاهرات ، لتحل بلقتها ، دون اللجوء الى (( اية بنية تشكيلية )) معروفة ، ماهو مخبوء وراء الحقيقة المتطورة .

وفى هذا الاتحاد الصوفى بالذات وهى تسبح فى مداراتها الازلية ، تصير الرموز اشكالا مستقلة عن كل ماهو خارجى ، ذات (( لغة لا يعرفها الا فى التصوير نفسه )) . يجدر بنا هنا ، ان نذهب بعيدا فى اكتشاف العالم الذى بناه كيوفارا بجهد ، لتعرف الى اى مدى يكون فيه عمل الذهن واليد .. الشعر والحقيقة .. الصورة والجوهر ، قد تحولا الى مثال صاف ، بلورى النغمة اجش صارخها .

وعالم هذا الفنان ، هو نقيض الحركة التجريدية التى بدأتها فى الفن الاسبانى المعاصر جماعة ( البازو ) التى اتخذت من التعارض العنيف ما بين الابيض والاسود ، وسطا لا للتعبير عن الانسان الممزق ، بل عن مأساته .

وقالت على لسان الفنان انطونيو سورا الذى لخص اسلوبيتها بالكلمات التالية : اننى لا اهتم بمشكلة التأليف او اللون ، او اية مشكلة من حيث البنية او المعنى ، او الجميل او القبيح . ان حاجتى الى التعبير ،